

فريضة الدعوة إلى الله



فريضة الرعوة إلى الله

1



حقوق الطبع والنشر ©


فريضة الدعوة إلى الله

الاصدار الثاني 2019


الاصدار الأول 2016

الطبع والنشر مسموح به
بشرط ألا يتم تغيير المحتوى

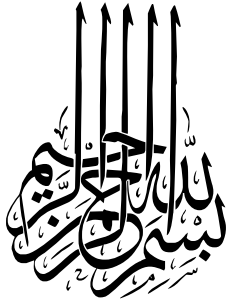
عبد الرحمن سيفوا كاشور

 akashur@yahoo.com

 akashur

 @aseefow

 الداء والدواء



2	مقدمة
5	الغاية من عمل الدعوة
6	الشهادة على الناس
12	بيان رسالة الإسلام
19	دحض الشبهات حول الإسلام
23	استحقاق النصرة والتمكين
32	أهمية عمل الدعوة
33	التعريف بالإسلام
39	تحكيم شرع الله بين الناس
42	التقنية الحديثة ونشر الإسلام
46	عواقب ترك عمل الدعوة
46	إثم كتمان العلم
52	الوعيد لمن ترك عمل الدعوة
55	سؤال الأمة يوم القيامة
58	ليس عليك هداهم
59	الله يهدي من يشاء
61	صفات الداعية
62	الإخلاص في العمل
64	إتباع السنة واقتفاء أثر السلف
65	طلب العلم الشرعي ومعرفة ما يدعو إليه
68	العمل بما يدعو إليه
70	الخلق الحسن والسلوك القويم
73	التوكل على الله وتحمل الأذى
78	الحكمة والتدرج في الدعوة
90	كيف نحقق نجاح الدعوة
91	صحة المعتقد والمنهج
95	إعداد الدعاة
97	الدعم المادي واللوجستي
100	الخاتمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فمن نعم الله تعالى علينا أن رضي لنا الإسلام ديناً ، وأتم علينا نعمته وهدانا صراطاً مستقيماً ، وأرسل للناس نبيه محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وجعله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، واجتبي أمة الإسلام من بعده لتكون شاهدة على البشرية جميعاً، فقال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾¹. وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾²

فقد بلغ النبي ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتعهد من بعده الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين، تبليغ رسالة الإسلام، فأبلوا في ذلك بلاء

1 سورة البقرة، الآية: 143.

2 سورة آل عمران، الآية: 104.

حسناً، وأدوا واجبهم حق الأداء، وبلغوا هذا الدين للناس كافة كما جاء به النبي ﷺ، وضخوا من أجله بالنفس والنفيس، حتى مضوا إلى سبيل ربهم، ثم جاء من بعدهم التابعون إليهم بإحسان فعملوا لواء الدعوة، وفتحوا الأمصار، ومكّنوا لهذا الدين، بنشر العلم النافع وإقامة العدل بين الناس، وبحفظة من التحريف والتبديل، وتعاقب على هذا الأمر العظيم، أمم كثيرة على مر الاغصار، وستبقى رسالة الإسلام ماضية ما بقي الليل والنهار.

إن مسؤولية الدعوة وتبليغ رسالة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على عموم الأمة وفرض عين على علمائها لقوله تعالى:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹

"عن النبي ﷺ قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشرّبوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئ كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله،

1 سورة آل عمران، الآية: 104.

ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به.¹

"وعن النبي ﷺ قال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار."²

وغايتنا أخي المسلم من هذه الرسالة، هو تذكيرك بهذا الواجب الجسيم، فلعلك تكون ممن وفقوا إلى القيام بهذا العمل العظيم، الذي قام به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وهم خيار الناس أجمعين.

واعلم رحمك الله أن هذا الأمر من أشرف القربات إلى الله تعالى، فשמّر على ساعد الجد، واستثمر من وقتك ومالك نصيباً تجعله لآخرتك، فإن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً.

"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له."³

1 صحيح البخاري، الحديث: 79.

2 صحيح البخاري، الحديث: 3461.

3 صحيح مسلم، الحديث: 1631.

الضايقة من عمل الدعوة

الشهادة على الناس

بعد أن ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات والنبوة بمجيء الرسول محمد ﷺ، أضحى مسؤولية القيام بواجب الدعوة على عاتق هذه الأمة، ومن كرم الله تعالى ونعمه على هذه الأمة أن جعلها أمة وسطا لتكون شاهدة على الناس يوم القيامة، وتكون شاهدة عليهم بدعوتهم إلى دين الإسلام وهدايتهم إلى أكل الشرائع والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله عز وجل:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾¹

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا - فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا - يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾²

1 سورة البقرة، الآية: 143.

2 سورة النساء، الآية: 41-42.

" قال رسول ﷺ: أتم شهداء الله في الأرض."¹ "وعنه ﷺ أيضاً قال: والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيراً لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَمِ."^{2,3}

"ومنها: أن هذه الأمة تشهد على الأمم يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ والشهادة تكون في الدنيا، والآخرة؛ فإذا حشر الناس، وسئل الرسل: هل بلغتم؟ فيقولون: نعم؛ ثم تسأل الأمم: هل بلغتم؟ فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير؛ ما جاءنا من أحد؛ فيقال للرسول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمَّته؛ يُستشهدون يوم القيامة، ويشهدون؛ فيكونون شهداء على الناس.

فإذا قال قائل: كيف تشهد وهي لم تر؟ نقول: لكنها سمعت عن خبيرة أصدق من المعاينة، صلوات الله وسلامه عليه."⁴

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁵

1 صحيح البخاري حديث: 1367 ومسلم حديث: 949.

2 معنى حمر النعم هي الإبل الحمر هي من أنفاس أموال العرب وأكرمها عندهم.

3 صحيح البخاري حديث 2942: ومسلم حديث: 2406.

4 تفسير سورة البقرة (مفرغ)، ابن عثيمين، ص 538.

5 سورة آل عمران، الآية: 104.

"والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان."¹

"عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم."²

وقال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾³

"هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعلیما، وإرشادا، وأمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وجمعا بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان."⁴

1 صحيح مسلم، حديث: 49.

2 تفسير ابن كثير سورة آل عمران، الآية 104، والحديث رواه الترمذي وحسنه الألباني، رقم 2169.

3 سورة آل عمران، الآية: 110.

4 تفسير السعدي، دار الحديث، القاهرة، ص 131.

والقيام بعمل الدعوة ونشر دين الله من أبواب الجهاد الحقيقي الذي أمر الشارع به حيث قال عز وجل:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنِيَكُمْ إِبرَاهِيمَ هُوَ سَمُّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾¹

"وجاهدوا في الله حق جهاده والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك، هو اجتباكم، أي: اختاركم -يا معشر المسلمين- من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة بالقيام بالجهاد فيه حق القيم، ولما كان قوله: وجاهدوا في الله حق جهاده ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق، احترز منه بقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج؛ أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة"².

1 سورة الحج الآية: 78.

2 المصدر السابق، تفسير سورة الحج الآية: 78، ص 593.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية:
 "﴿مَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: هذه الملة المذكورة والأوامر المزبورة ملة
 أيكم إبراهيم، التي مازال عليها، فالزموها واستمسكوا بها. هو سماكم
 المسلمين من قبل؛ أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون،
 وفي هذا؛ أي: هذا الكتاب وهذا الشرع. أي: مازال هذا الإسم لكم
 قديما وحديثا، ليكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم خيرها وشرها
 وتكونوا شهداء على الناس لكونكم خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا
 عدلا خيارا، تشهدون للرسول أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون على الأمم أن
 رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه."¹

وبحمد الله ومنه، قد يسر سبحانه وتعالى لنا سبل الدعوة، فأصبحت في
 هذا العصر جهادا لا شوكة فيه، وأضحت في غاية السهولة، فالمسلم اليوم
 يستطيع أن يدعو الناس من بيته أو من مكتبه أو من أي مكان،
 وذلك بتوظيف وسائل التواصل الاجتماعي المعروفة، التي تكتظ
 بمئات الملايين من البشر من مختلف بقاع الأرض، فلو أحسن
 المسلمون استخدام تلك الوسائل في خدمة الدعوة، وعندما تتحول
 أجهزتنا التي بأيدينا إلى منصات دعوية متحركة، فيأذن الله تعالى
 سيدخل الناس في دين الله أفواجا.

1 المصدر السابق.

وكم من مادة علمية أو موقع معلوماتي على الشبكة فيه من الخير الكثير الذي لو أحسن استخدامه لأسهم في هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والتوحيد. فما على الداعية اليوم إلا أن يتخير من تلك المادة العلمية النافعة ما يناسب المدعو ومن ثم يرسلها إلى من يستطيع الوصول إليه. فكن أخي المسلم داعية في سبيل الله وجاهد في الله حق جهاده بنشر رسالة الإسلام ونصرة دينه.

بَيَانُ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾¹

"عن عائشة قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية. وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمد ﷺ كتماً من القرآن شيئاً لكمتم هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيَهُ﴾"²

"هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها ، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأقوال والأفعال ، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورساله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه ، ولا شر إلا حذرهما

1 سورة المائدة، الآية: 67.

2 تفسير ابن كثير، سورة المائدة، الآية: 67.

منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.¹

"وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ" ، قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك ، فإن كتمت شيئاً منه فما بلغت رسالته ؛ وهذا تأديب للنبي ﷺ ، وتأديب لحملة العلم من أئمة ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه.²

"قال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم."

"وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: "أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقولها إليهم ويقول: "اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت."

1 تفسير السعدي، تفسير سورة المائدة، الآية: 67.

2 تفسير القرطبي، أيضاً تفسير سورة المائدة، الآية: 67.

"قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع¹: " يا أيها الناس، أي يوم هذا؟ " قالوا: يوم حرام. قال: " أي بلد هذا؟ " قالوا: بلد حرام. قال: " فأي شهر هذا؟ " قالوا: شهر حرام. قال: " فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. " ثم أعادها مرارا. ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: " اللهم هل بلغت! " مرارا، قال: يقول ابن عباس: والله لوصية إلى ربه عز وجل - ثم قال: (ألا فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.)"²

فالواجب على أتباع النبي ﷺ، إبلاغ رسالة الله للناس، وتحذيرهم من عقاب الله عز وجل. فالأمة الإسلامية هي التي حملت أمانة الدعوة بعد الرسول ﷺ، فقام أصحابه، رضي الله عنهم أجمعين، بهذا الواجب، فانفوا أعمارهم لإيصال رسالة الإسلام، وتعليم الناس دينهم، وإنذارهم من يوم الحساب. فعمل الدعوة ليس من باب النوافل، بل هو واجبات أتباع هذه الأمة، فإن هم تركوه لغير عذر، صاروا كأهل الكتاب الذين كتبوا ما أنزل الله إليهم من بعد ما بينه للناس، ولم يبلغوه كما أمرهم، فاستحقوا العقاب والطرده من رحمته.

1 صحيح البخاري، حديث: 1739.

2 تفسير ابن كثير لتفسير الآية: 67.

قال الله عز وجل:
 ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
 وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾¹

"وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم بالسعادة الدنيوية والأخروية ومنذرين من عصى الله وخالفهم بشقاوة الدارين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير. فلم يبق للخلق على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم ومراضى ربهم ومساخطه وطرق الجنة وطرق النار فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه."²

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" وأصل الإيمان والتقوى: الإيمان برسول الله وجماع ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسوله وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤوا به فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة؛ فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة."

1 سورة النساء، الآية: 165.

2 تفسير السعدي، ص 208، الآية: 165.

"قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا - وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْضِهِمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا - رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وقال تعالى عن أهل النار: ﴿كَلِمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَاءَ لِمُهم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ - قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ - وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فأخبر أنه كلما ألقى في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير.

"وقال تعالى في خطابه لإبليس ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فأخبر أنه يملأها بإبليس ومن اتبعه؛ فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم.

"فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسول"¹.

1 مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج 11/186، ص 105، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،

المصنوعة، مصر.

" قال رسول ﷺ : وليس أحدٌ أحب إليه العذر من الله. من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل."¹

"عن النبي ﷺ قال: عُرِضَتْ علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيطُ، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحدٌ."²

فكم يا ترى سيكون معك من المهتمين على يدك إلى هذا الدين؟ وكل من يسلم منهم على يدك، يكتب لك أجره، ومن لا يؤمن فيكفك أنك قد بلغت إليه الرسالة وتكون بذلك قد أبرأت ذمتك أمام الله تعالى بتبليغ رسالته.

"عن رسول الله ﷺ قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً."³

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:

"من دعا إلى هدى ومن دعا إلى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلى

1 جزء من حديث رواه البخاري رقم: 7416 ومسلم رقم: 2760 واللفظ لمسلم.

2 جزء من حديث رواه مسلم رقم: 220.

3 جزء من حديث رواه مسلم رقم: 2674.

ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (فعمل بها بعده) معناه إن سنّها سواء كان العمل في حياته أو بعد موته والله اعلم.¹

"أتى النبي ﷺ رجلٌ يستحمُّه ، فلم يجدْ عنده ما يتحمَّه ، فدَلَّه على آخرِ حمِّله ، فأتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخبره فقال إِنَّ الدَّالَّ على الخيرِ ، كفاعله."²

أخي المسلم، عندما تقوم بعمل الدعوة ونصرة دين الله تعالى، فأنت تقوم بالرباط على ثغر من ثغور الإسلام، ولعلك بفعل ذلك تكون مع الذين اختارهم الله تعالى أن يكونوا شهداء على الناس فيهدي بك من يشاء، فيكون ذلك ذخرا لك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

1 شرح النووي على مسلم، باب من سن سنة حسنة، حديث: 2674.

2 رواه الترمذي، حديث رقم: 2670 وقال حسن صحيح وحسنه الألباني.

دحض الشبهات حول الإسلام

إن من واجب المسلمين، الدفاع عن دينهم، وإبراز محاسنه، والدعوة إليه بكل الوسائل والسبل المتاحة، والرد على الشبهات التي أثيرت من قبل أعداءه، فلو قلنا إنه لم يحدث في تاريخ الأمة قاطبة تشويها للإسلام مثلها حدث في هذا العصر، لكان ذلك القول ليس مبالغا فيه، فقد تظاهرت شياطين الإنس والجن على إطفاء نور الإسلام، يبث الشبهات حوله، واستهداف أصوله وثوابته، فضلا عن ظهور الشر في العالم وانتشار الأفكار الهدامة والثقافة التافهة، وأيضا بسبب استضعاف المسلمين وتكالب الأمم عليهم في كل مكان، وإخضاعهم للهيمنة السياسية والاقتصادية، وشعورهم بالهزيمة الثقافية والنفسية، فلزم على الأمة أن ينفر من علمائها ودعاتها من يتصدى للرد على تلك الشبهات، ودحضها بالأدلة والبراهين، وردا لكيد أعداء الدين. ومن أعظم الشبهات التي ظهرت في عصرنا، هي شبهة الإرهاب التي ألصقت بالإسلام والمسلمين ظلما وزورا، وكم صدت هذه الشبهة من الناس عن دين الله، وكم هي الشبه التي ثبت في كل حين حول أصول الإسلام وثوابته، وكم من رموز مأجورة تروج لتلك الشبه، فكان من الواجب على المسلمين نصره هذا الدين ودحض ما أثير حوله من شبهات.

يقول الله عز وجل:

﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ الْوَاضِلُ أَعْمَلَهُمْ - ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾.

"هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، ويسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره."¹

وقال عز وجل أيضا:

﴿وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

"إن الله لقوي عزيز؛ أي: كامل القوة، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيرهم ، فأبشروا يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عددكم، وقوي عدد عدوكم، فإن ركنكم القوي العزيز، ومعتمدكم على منة خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصركم،"يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، وقوموا أيها المسلمون بحق الإيمان والعمل

1 تفسير السعدي، سورة محمد، ص 873، الآية: 7.

الصالح، فقد؛ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾¹

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾²

"وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره: أرسلنا رسلنا إلى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم، وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم".

"وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحل به من العقوبة."³

"وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أي: ليقم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله في حالة

1 المصدر السابق، سورة الحج، ص 585، الآية: 40.

2 سورة الحديد، الآية: 25.

3 تفسير الطبري، سورة الحديد، الآية: 25.

الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضرورياً."

"إن الله قوي عزيز أي: لا يعجزه شيء، ولا يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبتلي أوليائه بأعدائه، ليعلم من ينصره بالغيب، وقرن تعالى بهذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكلامه، وكال شريعته التي شرعها على السنة رسوله."¹

1 تفسير السعدي، سورة الحديد، الآية: 25.

استحقاق النصر والتمكيد

إن الله سبحانه وتعالى سن سننا كونية وشرعية في هذا الكون فمتى سارع المسلمون بالأخذ بها، وقاموا بالجهاد في سبيله، ونشر دينه، وتحقيق التوحيد في أنفسهم ومجتمعاتهم، وتركوا البدع، وتحاكموا إلى شرع الله تعالى، وقاموا بنشر العلم النافع بين الناس، ونبذوا الفرقة بينهم، وكانوا صفا واحدا للدفاع عن دينهم، وصد الصائل عنه، عندئذ بإذنه تعالى يأتيم النصر والتمكين في الأرض كما وعد الله عز وجل، الذي مكن للنبي ﷺ والصحابة الكرام رضى الله عنهم، في الحقبة النبوية المباركة، والخلافة الراشدة، وزمن العزة والتمكين، فلكوا العرب والعجم بسبب جهادهم ونصرة دينهم وإبلاغهم رسالة الإسلام للناس، فصاروا أمة الهدى يقتدى بهم في الدين والدنيا، وذلك فضل الله يؤته من يشاء من عباده.

قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

"هذا من أوعاده الصادقة التي شوهدها تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تديرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة؛ لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم؛ لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل، فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشهد: الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكّنهم من البلاد والعباد ، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها ، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما

يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويذلهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح.¹

﴿لَيْسَتْخَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة ، يعني : والله ليستخلفنهم ، أي : ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها.²

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

"هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورساله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهما عنه، وشهد له بالتبليغ أفضل الأمة من

1 تفسير السعدي، سورة النور، الآية: 55.

2 تفسير البغوي، سورة النور، الآية: 55.

الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين. وإن لم تفعل أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك فما بلغت رسالته أي: فما امتثلت أمره.

والله يعصمك من الناس هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم.¹

"لا يهدى القوم الكافرين إلى طريق الحق بسبب عنادهم وإيثارهم الغي على الرشد. ولا يوصلهم إلى ما يريدونه من قتلك ومن القضاء على دعوتك، بل سينصرك عليهم ويجعل العاقبة لك."²

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

"أي: تسلطا واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة، قد

1 تفسير السعدي، سورة المائدة، الآية: 67.

2 تفسير الوسيط للطنطاوي، سورة المائدة، الآية: 67.

بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.¹

"والذي نراه أولى أن تكون الجملة الكريمة عامة في نفى أن يكون هناك سلطان للكافرين على المؤمنين ما دام المؤمنون متبعين اتباعاً تاماً تعاليم دينهم وآخذين في الأسباب التي تجعل النصر حليفاً لهم. وإذا كان الكافرون في بعض الأزمان والأحوال قد صارت لهم الغلبة على المسلمين، فذلك قد يكون نوعاً من الابتلاء أو التأديب أو التمحيص. حتى يعود المسلمون إلى دينهم عودة كاملة تجعلهم يستجيبون لتوجيهاته. ويدعون لأحكامه، ويطبّقون أوامره ونواهيّه. وهنا يحالفهم نصر الله الذي لا يقهر ووعده الذي لا يتخلف."²

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعدو. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبيا والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفاً، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، ﴿وَيَوْمَ

1 تفسير السعدي، سورة النساء الآية: 141.

2 التفسير الوسيط، سورة النساء، الآية: 141.

يُقَوْمُ الْأَشْهَدُ ﴿﴾ يعني : يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.¹

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ - بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ - وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ - يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾²

وقبل أن نختم هذا المبحث، أود أن أسوق بتصرف بعض ما كتبه الشيخ الألباني رحمه الله في الأحاديث الأولى من كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الثاني فيما يتعلق بصرة الدين والمسلمين في آخر الزمان.

قال رحمه الله:

"المستقبل للإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء

1 تفسير البغوي، سورة غافر الآية: 51.

2 سورة الروم، الآية: 4 - 7.

من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاماً، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ". الحديث. رواه مسلم وغيره. وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه. وها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سبباً لشحد همم العاملين للإسلام، ووجهة على اليائسين المتواكلين: " إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. "

الحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه، وابن ماجه وأحمد من حديث ثوبان وأحمد. وأوضح منه وأعم الحديث التالي: " ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاء يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر ". رواه جماعة. ورواه ابن حبان في " صححه"، ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، وهذا ما يبشرنا به الحديث: - عن أبي قبيل قال: كما

عند عبد الله بن عمرو بن العاصي وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: "مدينة هرقل تفتح أولا. يعني قسطنطينية." رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبه في "المصنف وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن" والحاكم وعبد الغني المقدسي في "كتاب العلم"، وقال: "حديث حسن الإسناد". وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قال. (ورومية) هي روما كما في "معجم البلدان" وهي عاصمة إيطاليا اليوم. وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أيضا أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة.

" تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا

فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون
خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت. " رواه أحمد.¹

1 سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح 2 / ص 31.

أهمية عمل الدعوة

التعريف بالإسلام

اليوم يبلغ عدد سكان الأرض تقريبا أكثر من سبعة مليار نسمة، أغلبهم على غير ملة الإسلام، ويموت ما يقرب من مائة وخمسين 150,000 شخصا أو يزيدون في اليوم الواحد وذلك حسب تقرير بعض الإحصائيات العالمية، ومن المؤكد أن أكثر هؤلاء الأشخاص يموتون على غير دين الإسلام، فما موقفنا من هؤلاء الذين ماتوا ولم تصل إليهم رسالة الإسلام وقد عهدَ إلينا بتليغهم؟ ولو نظرنا اليوم إلى ما يتم عرضه عن الإسلام، سواء كان ذلك من المسلمين أنفسهم أو من غيرهم، فس نجد أكثره يعرض بصورة مشوهة، سواء كان ذلك بقصد أو من غير قصد، فإن الآلة الإعلامية الغربية التي تقوم بتشويه الإسلام عبر وسائلها الإعلامية المختلفة كالمحطات الفضائية والشبكة العالمية، كان له الأثر البالغ في إنتاج وترويج صورة سيئة وسلبية عن الإسلام والمسلمين، مما أدى بسببه إلى نفرة الناس عن الإسلام، وبات الإسلام في نظر الكثير من الناس أنه دين باطل، بل هو مجرد ثقافة همجية تصدر الإرهاب الذي يتركز على مذهب الإمبريالية العالمية وإخضاع الشعوب لهذا الفكر الشمولي المتطرف.

فلو قامت الأمة بواجبها نحو دينها، وأعطت الدعوة حقها، لانجلت للناس محاسن هذا الدين العظيم، الذي يكفل لها السعادة في الدارين

والدخول في رحمة الله الواسعة، ولمكّن الله تعالى لها دينها بإظهار أمنها، واستخلفها في الأرض كما استخلف الذين من قبلها، يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله عز وجل.

فالعمل على التعريف بالإسلام من الأمور العظيمة، التي يجب على الأمة أن تكرر له كل ما تمتلكه من إمكانيات لإنجازه على أكمل وجه، وذلك بتوظيف كل الوسائل المتاحة، ومن تلك الوسائل إنشاء شبكة دعوية واسعة عالمية، تتحد فيها معظم المؤسسات والمراكز الإسلامية، وأن ينتهجوا منهجاً دعوياً موحداً يقوم على الكتاب والسنة وسبيل الصحابة والسلف الصالح، وأن تركز الدعوة على أصول الإسلام وثوابه التي لا تبدل ولا تتغير، وأن تتحول العواصم العالمية والمدن الكبرى، خصوصاً في بلدان المشرق، كالصين واليابان وكوريا، إلى منارات علمية ومراكز تجذب الناس إليها من كل مكان، ويقترح أن تجهز تلك المراكز الدعوية بمكتبات تحوي الكتب النافعة باللغات المحلية، وصلوات تستقبل الزوار لاستماع الدروس والمحاضرات، ويتم عرض المادة الدعوية بطريقة جذابة، سواء كان ذلك في محتواها أو كيفية وضعها في المكتبات أو ممرات المركز الدعوي، ويستحسن أن تقدم خدمات مجانية، فمثلاً يتم تخصيص مساحة داخل المركز لتقديم القهوة والشاي ووجبات أكل خفيفة، وصالة ألعاب مخصصة للأطفال، خدمة الأنترنت، وكل ما يسهم في جلب الناس.

فالناس يعيشون حياة الأموات في غياب نور الإسلام الذي أضاء به صدور المؤمنين، وأحيا به قلوب الغافلين، وبرحمته أخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان وسعادة الدارين. فالواجب على المسلمين، - ونخص بالذكر هنا القائمين على المؤسسات الإسلامية - أن يتنبهوا إلى مسؤوليتهم التي أوكلت إليهم من بيان وتعريف الإسلام لغير المسلمين، وأن لا يتخذوها معاقل للفتن والتحزب، ومطية لحظوظ النفس والمتاع الزائل، بل تكون هذه المراكز مناهل علمية للتوعية ونشر للكتب والنشرات والمطويات الإسلامية والمواد المرئية والمسموعة، محررة بأسلوب يناسب حال المدعو ولغته، حتى يتسنى له فهم الإسلام فهما صحيحا.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾¹ وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظَلَمْتَ فِي بَحْرِ لَجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾²

ومن الإمكانيات التي يجب ألا نغفل عنها في هذا الصدد، هي التظاهرات الثقافية والمعارض العلمية التي يأتي إليها الناس للتعرف على

1 سورة الأنعام، الآية: 122.

2 سورة النور، الآية: 40.

بإنشاء مراكز إسلامية حول العالم، يقوم عليها مثل هؤلاء الدعاة لنشر تعاليم الإسلام والعقيدة الصحيحة بعيدا عن الخلاف والاختلاف وإيصال رسالة الله كما جاء بها الرسول ﷺ .

وهنا نود أن نذكر، بأن الوحدة الإسلامية أمر عظيم ومطلب عزيز قد أمرنا الله بها في كتابه العزيز وأمرنا بها النبي ﷺ، فهي من أصول الإسلام، يجب العمل على تحقيقها، وأن السعي لتوحيد كلمة المسلمين والابتعاد عن أسباب الفرقة والاختلاف، من الواجبات في الدين، لما في ذلك للمسلمين من خير عظيم، قال الله تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ - وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾¹، فالوحدة الإسلامية مطلب عظيم تحتاج إلى تغيير النفوس بإخلاص النية لله وصدق العزم، ولا يمكن للأمة أن تتحد ما لم تعتصم بحبل الله المتين وتمسك بسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده رضي الله عنهم أجمعين، ونبتد الخلاف والتعصب، وأن نتذكر بأن الكريم عند الله هو التقي، وأن الإسلام دين للبشرية جمعاء، وأنه لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأن الناس من آدم عليه

1 سورة آل عمران، الآية: 102-103.

السلام وأن آدم من تراب. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ﴾¹.

لذلك نقول لا وحدة بين المسلمين ما لم يعتصموا بحبل الله ويطيعوا الله
والرسول، وبتحقيق التوحيد الخالص ونبذ الشرك والبدع والتمسك بسنة
النبي ﷺ ونبذ التقليد، والاستسلام لله في كل مناحي الحياة.

1 سورة الحجرات، الآية: 13.

تَكْلِيمُ اللَّهِ لِلنَّاسِ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله برحمته وفضله ومنه، فنسأل الله أن يتم علينا نعمته، وأن يدخلنا في رحمته في الدنيا والآخرة. فلولا كتاب الله وهدايته للناس، لضلوا وعاشوا حياتهم كالبهائم.

فالإسلام دين كامل، وشرعه أكل الشرائع، وهو صلة العبد بخالقه في كل شؤونه الدينية والدنيوية، فهو يضمن للبشرية حياة طيبة كريمة، شريطة اتباع هدى الله تعالى وتقواه بقدر الاستطاعة، والاجتهاد في تحقيق التوحيد في حياتهم، والاقتضاء بهدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهو المنهج الرباني الذي رضي الله لنا وأمرنا أن نتعبد له به.

فلا يمكن للبشرية أن تعيش حياة مستقرة في ظل غياب الشريعة الربانية، ولا يمكن لها أن تهتدي إلى شرع يقوم على تنظيم حياتها بأكل وجه! وإن كل شرع أتى به البشر يعتره النقص ويغلب عليه الهوى والاختلاف والظلم والجور، ولن تستطيع الإنس والجن أن يضعوا قانونا عادلا يحتكموا إليه فيما بينهم، لأسباب كثيرة، منها؛ أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا، فهم لا يدركون كنه الكون وما يحيط بهم، ولا يعلمون خفايا الخلق وما حولهم من العوالم، ولا يعلمون الغيب، فالأيام يداؤها الله بين الناس كيف يشاء، والإنسان يعيش في عالم متغير،

لذلك فلا يمكن أن يتنبأ بما سيكون في مستقبله. ومن بين تلك الأسباب أيضاً، أن الإنسان كائن ضعيف، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾¹ فهو ضعيف البنية والنفس، لا يقوى على مصائب الدنيا ومشاقها، ومعرض للابتلاء أينما حل، يعتريه النقص من كل وجه، وينتابه الملح والحرص على حطام الدنيا والإمساك عن الإنفاق خشية الفاقة، وكل هذا يدل على ضعفه وجهله وقصوره عن بلوغ الكمال.

﴿قُلْ لَا أَمَلُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾²

وأضف إلى ذلك اتصاف الإنسان بصفة الظلم، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾³، فالإنسان بطبعه الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، واتخاذ كل الوسائل للوصول لغايته، سواء كانت حميدة أم ذميمة، فلا يألو جهداً لتحصيل ما يصبو إليه وقضاء مآربه، حتى ولو كلف ذلك سفك الدماء وهتك الإعراض، والتعدي على غيره، فلا يكمل عزمه حتى يبلغ مبتغاه. ومع اتصاف الإنسان بالظلم،

1 سورة النساء، الآية: 28.

2 سورة الأعراف، الآية: 188.

3 سورة الأحزاب، الآية: 72.

أيضا يتصف بصفة الغضب، هذه الصفة التي لا تتفك عنه، مهما ارتقى وتأدب، فهي وإن كانت لا يذم صاحبها في جميع أحواله، إلا أن أغلب الناس تدفعهم إلى ارتكاب المحذور، من غير نظر في عواقب الأمور، ويغذي ذلك أيضا هوى النفس ووساوس الشيطان، فبسبب هذه الصفات، يمتنع عن الإنسان من وضع قوانين وتشريعات عادلة يحتكم إليها، فالمشرع لا بد أن يتصف بالعلم المطلق والحكمة البالغة، وهذا لا يليق إلا في حق الله العليم الحكيم، الذي اتصف بنعوت الكمال، وتنزه عن صفات النقص. فكان دينه رحمة للعالمين، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويدعو إلى دار المتقين، ويخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور اليقين، ويدعو إلى سعة الآخرة وعدل الإسلام وشريعته الغراء الكاملة والنعمة التامة فمن تبع هداها فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

التقنية الحديثة ونشر الإسلام

إن من نعم الله تعالى على عباده نعمة التواصل والتحاور فيما بينهم، فهذه النعمة هي وسيلة عظيمة له أثرها الكبير في تبادل المعارف ونقل العلوم والأفكار، وكثير من مصالح الناس لا تتحقق إلا بالتواصل والاتصال فيما بينهم، والدعوة إلى الله في أصلها تعتمد على التواصل بين الداعي والمدعو بالوسائل المتاحة، فالله تعالى أرسل الملائكة إلى رسله وأنزل معهم الكتاب، فقاموا بتبليغ رسالات الله كما أمروا، فبينوا ما أنزل إليهم تمام البيان، وأقاموا الحجج على أقوامهم بشتى الوسائل، وقد أيدهم الله عز وجل بمعجزات عظيمة دلت على صدقهم، فكان من بين تلك المعجزات الخالدة رسالة القرآن العظيم، الذي نزل به الروح الأمين على قلب نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، نزل للعالمين بشيرا ونذيرا، فهو أكمل الرسالات فيه خيري الدنيا والآخرة وفيه شفاء للناس من كل شبهة وسقم ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾¹، فكل من أرد أن يلتبس الشفاء من الأدواء، فعليه أن ينهل من المصدر الرباني النقي، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾²

1 سورة الإسراء، الآية: 82.

2 سورة فصلت، الآية: 42.

فالفوضى الفكرية التي تعيشها البشرية اليوم، والانحرافات المذهبية والفلسفية التي تغمر المؤسسات العلمية في العالم، لا سبيل لمواجهتها إلا بالتواصل الفكري والحوار العلمي والتصدي لكل الشبه بالحجج والبراهين القطعية المتمثلة في رسالة الإسلام. وهذا بالطبع يتطلب من الدعاة العمل الدؤوب في مجال البحث العلمي والإطلاع على ثقافات وأديان وفلسفات الشعوب الأخرى. وبحمد الله وفضله، فإن كثيرا من تلك القضايا الفكرية المعاصرة أو المتقدمة قد تصدى لها علماء المسلمين الأجلء، اجتهدوا في الرد عليها قديما وحديثا، وسطروا ردودا علمية نافعة في كل باب، فما على الدعاة اليوم إلا نشر تلك الجهود واستغلال طاقاتهم لنصرة الدين والدفاع عنه، والاستفادة من تلك الكنوز العلمية والاستعانة بها في إبلاغ رسالة الله تعالى.

ومن الأسباب التي أدت إلى دخول دول أفريقيا وجنوب شرق آسيا في دين الإسلام، هو حسن تعامل بعض الأمراء وتجار المسلمين مع شعوب تلك البلاد، فقاموا بدور عظيم بتوفيق من العزيز الرحيم، فانتشر الإسلام، بتحقيق شرع الله في حكمهم وأخلاقهم وأدبهم ومعاملاتهم. فالإسلام اليوم في حاجة لمثل هؤلاء النبلاء للقيام بواجب الدعوة وإبلاغ رسالة الإسلام للناس كافة. فالفرص التي يعيشها المسلمون اليوم في معظم بقاع الأرض، يجب توظيفها بحكمة لتحقيق نصره الإسلام، وذلك ببناء جسور دعوية، بينهم وبين الأمم الأخرى،

لإيصال رسالة الإسلام إليهم، وقد سمي الله عز وجل صلح الحديبية بالفتح المبين، لأن بسببه توقفت الحرب بين المسلمين والمشركين لفترة من الزمن حتى أمن الناس فيها على أنفسهم، وبدؤوا يتواصلون فيما بينهم وأخذوا يتعرفون على رسالة الإسلام، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وتمكّن الإسلام بجزيرة العرب بسبب هذا الفتح المبين، الذي هيأه الله عز وجل، فكان ثمرة ذلك فتح - مكة المكرمة - بعد الصلح بفترة وجيزة، وكل هذا بفضل الله تعالى، ثم بالصلح والسلم الذي تم بين المسلمين والمشركين.¹

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جُنْحُوا لِلْسَّلْمِ فَأَجْنَحْ لَهُا﴾

"فإن في ذلك فوائد كثيرة، ... ومنها: أنكم إذا اصطلحتم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلو عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له. فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين.."²

1 للمزيد من المعلومات عن كيفية انتشار الإسلام ننصح بالرجوع إلى كتاب "حاضر العالم الإسلامي وقضاياها

المعاصرة" للدكتور جميل عبد الله محمد المصري.

2 تفسر السعدي، سورة الأنفال، الآية: 61.

عواقب ترك عمل الدعوة

إنهم كتمان العلم

سنورد في هذا الباب بعض النصوص المهمة التي تحمل الوعيد لمن ترك واجب عمل الدعوة وإبلاغ رسالة الإسلام.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ - إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ - خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾¹

"قال رسول الله ﷺ: من سئل عن علمٍ فكتمه؛ أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ."²

"وعن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به، كمثل الذي يكثر الكنز ثم لا ينفق منه."³

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، الآية: وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم،

1 سورة البقرة، الآية: 159.

2 صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: 120.

3 صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: 122.

وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البيئات الدالات على الحق المظهرات له، والهدى وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله فأولئك يلعنهم الله أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته، ويلعنهم اللاعنون وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله مصاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

"إلا الذين تابوا أي رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعادة وأصلحوا ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن، ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضا حتى يبين ما كتبه ويبيدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محبوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه، لأنه

التواب أي: الرجاع على عباده بالعتو والصفح بعد الذنب إذا تابوا ، وبالإحسان والنعم بعد المنع إذا رجعوا، الرحيم الذي اتصف بالرحمة العظيمة التي وسعت كل شيء ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأتابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم لطفًا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب.¹

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيئات والهدى إلى آخر الآيتين."²

"أن النبي ﷺ ، وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ، قال: يا مُعَاذُ بن جَبَلٍ . قال: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعَدَيْكَ ، قال: يا مُعَاذُ . قال: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعَدَيْكَ ، ثلاثا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، صدقاً من قلبه إلا حرمهُ اللهُ على النارِ . قال: يا رَسولَ اللهِ، أفلا أُخبرُ به الناسُ فَيَسْتَبَشِرُوا؟ قال: إِذَا يَتَكَلَّمُوا . وأخبر بها مُعَاذٌ عِنْدَ موته تَأْتُمًا."³

فانظر أخي المسلم إلى حرص الصحابة على تعليم الناس، وكيف حملهم الورع على ألا يكتموا، فهذا الصحابي الجليل أبو هريرة، رضي الله

1 تفسير السعدي، سورة البقرة، الآية: 159 - 160.

2 صحيح مسلم، حديث: 2492.

3 صحيح البخاري، حديث: 128 وصحيح مسلم، حديث: 32.

عليه، يتلو الآية السالفة الذكر ويستشهد بها على حرمة كتمان العلم، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنه، وهو من! الداعية الكبير، العلم الجبل، من الراسخين في العلم، يخشى في آخر لحظة من حياته أن يموت، وهو يكتم شيئاً من العلم قد لا يعلمه غيره، فأخبر بهذا الحديث العظيم، رغم أن الرسول ﷺ لم يشر عليه بتبليغه فقال له: "إِذَا يَتَكَلَّمُوا" حين أرد أن يؤدي ما سمع من رسول الله ﷺ. فأين نحن يا ترى من هؤلاء الشرفاء؟

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْغُفْرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١﴾﴾

"هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ما يأكلون في بطونهم إلا النار لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولا يكلمهم الله

1 سورة البقرة، الآية: 174 - 175.

"فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان".
"وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبئوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرئاسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، فبئس ما يشتركون لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه - وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدينيوية - أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالى النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له."¹

1 تفسير السعدي، ص 148.

الوحيد لمد تترك عمل الدعوة

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَّةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾¹

يقول الإمام القرطبي:

"وفيه سبع مسائل:

الأولى: أخبر الله تعالى أن الذي يكتم ما أنزل من البينات والهدى ملعون. واختلفوا من المراد بذلك، فقيل: أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وقد كتم اليهود أمر الرجم. وقيل: المراد كل من كتم الحق، فهي عامة في كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه، وذلك مفسر في قوله ﷺ: "من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار. رواه أبو هريرة."²
الثانية: هذه الآية هي التي أراد أبو هريرة رضي الله عنه في قوله: لولا آية في كتاب الله تعالى ما حدثكم حديثا. وبها استدل العلماء على

1 سورة البقرة، الآية: 159 - 160.

2 صححه الألباني في صحيح الجامع، حديث: 6284.

وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة، دون أخذ الأجرة عليه، إذ لا يستحق الأجرة على ما عليه فعله، كما لا يستحق الأجرة على الإسلام، وقد مضى القول في هذا.

الثالثة: قوله تعالى : من البيئات والهدى يعم المنصوص عليه والمستنبط، لشمول اسم الهدى للجميع . وفيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد ؛ لأنه لا يجب عليه البيان إلا وقد وجب قبول قوله ، وقال : إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فحكم بوقوع البيان بنحبرهم .

الرابعة: لما قال: من البيئات والهدى دل على أن ما كان من غير ذلك جائز كتبه، لا سيما إن كان مع ذلك خوف فإن ذلك أكد في الكتمان. وقد ترك أبو هريرة ذلك حين خاف فقال: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. أخرجه البخاري. قال أبو عبد الله: البلعوم مجرى الطعام. قال علماءنا: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن والنص على أعيان المرتدين والمنافقين، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبيئات والهدى، والله تعالى أعلم.

الخامسة: قوله تعالى: من بعد ما بيناه الكفاية في بيناه ترجع إلى ما أنزل من البينات والهدى. والكتاب: اسم جنس، فالمراد جميع الكتب المنزلة.

السادسة: قوله تعالى: أولئك يلعنهم الله أي يتبرأ منهم ويبيدهم من ثوابه ويقول لهم: عليكم لعنتي، كما قال للعين: وإن عليك لعنتي. وأصل اللعن في اللغة الإبعاد والطرده، وقد تقدم.

السابعة: قوله تعالى: ويلعنهم اللاعنون قال قتادة والربيع: المراد ب اللاعنون الملائكة والمؤمنون. قال ابن عطية: وهذا واضح جار على مقتضى الكلام.¹

فإن خلاصة من تفسير هذه الآية، أن من يكتم ما أنزل الله تعالى للناس قد يناله الوعيد المذكور في الآية وهو اللعن من الله والملائكة والناس أجمعين، فمن يطيق أن يقع عليه مثل هذا العقاب الرهيب. غفرانك ربنا وإليك المصير.

1 انظر تفسير القرطبي، سورة البقرة، الآية: 159 - 160.

سؤال الأمة يوم القيامة

قال الله عز وجل:

﴿المص - كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ - اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بِجَاءِهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ - فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ - فَلَنَسَلْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلْنِ الْمُرْسَلِينَ - فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾¹

قال ابن كثير رحمة الله: "وقوله: ﴿فَلَنَسَلْنِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية، كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْدِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾² وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْقَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ﴾³ فالرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته؛ ولهذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية:

1 سورة الأعراف، الآية: 1 - 9.

2 سورة القصص الآية: 65.

3 سورة المائدة، الآية: 109.

﴿فَلَنَسَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين عما بلغوا.

"قال رسول الله ﷺ : "ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمامُ الذي على الناسِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته ، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيته وهو مسؤولٌ عن رعيته ، والمرأةُ راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سيده وهو مسؤولٌ عنه ، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته".¹

قال الليث: وحدثني ابن طاووس ، مثله ، ثم قرأ: ﴿فَلَنَسَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة.

"وقال ابن عباس: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون، ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ يعني : أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا، من قليل وكثير، وجليل وحقير؛ لأنه تعالى شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يغفل عن شيء ، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور".²

1 صحيح البخاري، حديث: 7138.

2 تفسير ابن كثير، سورة الأعراف، الآية: 1 - 9.

فسؤولية الدعوة أمر عظيم فلا بد لطائفة من المؤمنين أن ينفروا لحمل رايها والقيام بها حسب الجهد والطاقة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾¹.

أخي المسلم فليكن لك هدفا عظيما في حياتك، تقتدي فيه برسول الله، وهم أشرف من وطئ الأرض، بأن تجتهد في تبليغ رسالة الله تعالى، وليكن ذلك أيضا بنشرك هذا الوعي بين المسلمين، وليكن شعارك، "حياتي وقف للدعوة إلى الله"، وأبشر بالذي يسرك، في حياتك وبعد مماتك، فهذا عمل خص الله به المرسلين، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم وأخلص في عمله واحتسب أجره على الله، كان بإذنه تعالى من الفائزين المفلحين، ومن الشهداء يوم الدين.

1 سورة التوبة، الآية: 122.

ليس عليك هدايتهم

الله يهدي من يشاء

قد يظن الداعية أن دعوته للناس تستلزم الاستجابة والإيمان بمجرد دعوتهم إلى ما يدعوهم إليه. ولكن الأمر ليس كذلك، فهداية الناس بيد الله سبحانه تعالى وحده، يهدي من يشاء من عباده برحمته وفضله وإحسانه ومنه، ويضل من يشاء بعلبه وعدله وحكمته، والداعي إلى الله لا يملك من هداية الناس شيئاً، وكل من دخل في دين الله تعالى، كان ذلك بفضل الله وحده، وكل من أعرض وتولى كان بإرادة الله تعالى وحده، ولحكمته البالغة التي لا يبلغها أحد. ولذلك يجب على الداعي إلى الله تعالى، أن يجتهد في بيان رسالة الله وأن يبلغها كما جاءت من عند الله وكما بينها رسول الله ﷺ. ولا يأس في دعوته حتى ولو لم يستجيب لدعوته أحد من الناس، لعلمه أن الهداية والتوفيق من الله تعالى، وأن مهمته هي البلاغ المبين.

قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾¹ وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾²
 "يخبر تعالى أنك يا محمد وغيرك من باب أولى لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية

1 سورة البقرة، الآية: 272.

2 سورة القصص، الآية: 56.

التوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقية على ضلاله. وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول ﷺ يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا، ولهذا لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة له للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله.¹

1 تفسير السعدي، سورة القصص، الآية: 56، ص 680.

صفات الداعية

الإخلاص في العمل

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾¹

وقال أيضا:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾²

" قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه."³

"قال رسول الله ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه."⁴

إن من شروط قبول العمل هي أولاً: أن يخلص العبد في عمله لله ولا يشرك به أحداً، كائناً من كان، لأن الشرك من موجبات إبطال

1 سورة البينة، الآية: 5.

2 سورة الكهف، الآية: 110.

3 صحيح البخاري، حديث: 6689 ومسلم، حديث: 1907.

4 صحيح مسلم، حديث: 2985.

إتباع السنة واقتفاء أثر السلف

قال الله تعالى:

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾¹

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾²

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ - قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾³

والشرط الثاني لقبول العمل؛ هو اتباع الكتاب والسنة، فالمؤمن لا يسعه إلا اقتفاء الأثار الصحيحة، ويلتمس نهج السلف في فهمها، ولا يلتفت لغيرهم من المخالفين. والداعية يجب أن يكون على بصيرة إلى ما يدعو إليه، ولا يخوض فيما لا يعلم، وإن استشكل عليه أمر يرده إلى أهل العلم. فزاد الداعية هو الإخلاص لله في عمله ومتابعة الرسول ﷺ.

1 سورة الأعراف، الآية: 3.

2 سورة النور، الآية: 54.

3 سورة آل عمران، الآية: 31 - 32.

طلب العلم الشرعي ومعرفة ما يدعو إليه

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹

"قول تعالى لنبيه ﷺ : قل للناس هذه سبيلي أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له. أدعو إلى الله أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه ، ومع هذا فأنا على بصيرة من ديني؛ أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مريية. وكذلك "من اتبعني": يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. وما أنا من المشركين في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين."²

فمن صفات الداعية، طلب العلم الشرعي، وأن يدعو إلى الله على بصيرة، فلا يمكن أن يتصدى لعمل الدعوة من كان جاهلا لما يدعو إليه، فلا يأمن على من كان حاله هكذا أن يقع في مخالفات شرعية

1 سورة يوسف، الآية: 108.

2 تفسير السعدي، سورة يوسف، الآية: 108.

بسبب جهله، وأن يدعو إلى بدعة في الدين وهو في غفلة من ذلك، فيحصد السيئات بدلا من الحسنات فيصدق عليه قول الله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا - الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا - أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا - ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّخُدُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾¹

فأول علم يبتدئ به طالب العلم هو علم التوحيد، فيطلع على مبادئ هذا العلم الجليل، وهو أشرف العلوم، لتعلقه بذات الله تعالى ومسائل الغيب، فيتعلم مسائل التوحيد، ونواقضه، وأن يكون على اطلاع واسع بما يخالفه من العقائد الباطلة، حتى يكون على بينة، فلا يقع في شبهات قد تضر بإيمانه، فإذا استشككت عليه مسألة من مسائله، فليرجع في ذلك إلى أهل العلم، لأن علم التوحيد من العلوم العظيمة وقد ضل فيه الكثير، وهلك في طريقه أمم لا تحصى كثرة، فالداعية يسلك في هذا العلم مسلك السلف الصالح، ويتقيد بفهم مسائله بما حرره وحققوه في كتبهم، وعلى رأسهم الأئمة المتبوعين، رحمهم الله تعالى، وأيضا من المجتهدين كشيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم ومن سلك مذهبهم من العلماء الأجلاء، رحمهم الله تعالى أجمعين.

1 سورة الكهف، الآية: 103 - 104.

العمل بما يدعو إليه

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾¹

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعني حلالا طيبا."

"﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ﴾، يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافة، بل لا أفعل إلا ما أمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه."²

"يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون أي: لم تقولون الخير وتحشون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما تزهم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به. فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة

1 سورة هود، الآية: 88.

2 تفسير الطبري، سورة هود، الآية: 88.

الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه، قال تعالى: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه.¹

فالخذر كل الخذر أخي الداعية من أن تخالف أفعالك أقوالك، فهذا من أكبر الخوارم التي تقدح في الداعية، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: يُجاءُ بالرجلِ يومَ القيامةِ ، فيُلقي في النَّارِ ، فتندلقُ أفتابهُ ، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ برحاهُ ، فتجتمعُ أهلُ النَّارِ عليه ، فيقولونُ : يا فلانُ ما شأنُكَ ؟ أَلستَ كُنتَ تأمرُ بالمعروفِ ، و تنهى عن المنكرِ ؟ فيقولُ : كنتُ آمرُكم بالمعروفِ ولا آتِيهِ ، وأنهاكم عن الشرِّ وآتِيهِ.²

وإن من أسباب تنفير الناس عن الدين، تناقض أقوال الداعية وأفعال، فيصرف الناس عن سبيل الحق، ويلتبس عليهم فلا يهتدوا إليه سبيلا، وقد يتسبب أيضا هذا السلوك المتناقض، في إبعاد الناس عن الدعاة المخلصين، فتتأثر الدعوة وأهلها، فلا بد للداعية من الحرص على الاستقامة وفعل الطاعات، وتزكية النفس، حتى يكون مثلا يحتذى به.

1 تفسير السعدي، سورة الصف، الآية: 2 - 3.

2 صحيح البخاري: 3267 واللفظ له، ومسلم: 2989.

الخلق الحسنة والسلوك القويم

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ - وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ - وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾¹

"هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقييده بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر." "ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله."

1 سورة فصلت، الآية: 33 - 35.

"ومن الدعوة إلى الله ، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق ، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين."

"ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم ، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا يتحصّر أفرادها، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر."¹

"وإنك لعلى خلق عظيم أي: عليا به، مستعليا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: " كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فيما رحمة من الله لنت لهم الآية، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الآية، وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على كل خلق جميل فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلا لنا، قريبا من الناس، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابرا لقلب من سأله، لا يجرمه، ولا يرده خائبا، وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن

1 تفسير السعدي، سورة فصلت، الآية: 33.

عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظة عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.¹

قال رسول الله ﷺ: "ما من شيء يُوضعُ في الميزان أثقلُ من حُسن الخلق، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلقِ ليلبُغُ بهِ درجةَ صاحبِ الصومِ والصلاةِ."² وقال أيضا: "إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً في الدنيا."³

فحسن الخلق عمدة الداعية بعد العلم، وقد قيل: 'إن طلب الأدب قبل العلم، ومن أرد أن يكتسب الأخلاق النبيلة، فعليه بسيرة سيد البشر ﷺ، الأسوة الحسنة في الأخلاق الجميلة والآداب الرفيعة، فقد ربي جيلا فريدا، بسببه غير مجرى التاريخ، وذلك بنشر رسالة الإسلام، فلا يسع الداعية اليوم إلا اتباع خير الناس وهم السلف الصالح ليكون إن شاء الله من المفلحين.

1 تفسير السعدي، سورة القلم، الآية: 4.

2 صححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 5726.

3 صححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: 2018.

التوكل على الله وتحمل الأذى

قال الله تعالى:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾¹

"ولنصبرن لام قسم؛ مجازة: والله لنصبرن على ما آذيتونا به، أي من الإهانة والضرب، والتكذيب والقتل، ثقة بالله أنه يكفيننا ويثيبنا. وعلى الله فليتوكل المتوكلون."²

"ولنصبرن على ما آذيتونا أي ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم تذكيركم ، ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى ؛ فإننا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى احتسابا للأجر ونصحا لكم لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير. وعلى الله: وحده لا على غيره فليتوكل المتوكلون: فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير. واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب و أشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم. وهذا أكل ما يكون من التوكل."³

قال الله تعالى:

1 سورة إبراهيم، الآية: 12.

2 تفسير القرطبي، سورة إبراهيم، الآية: 12.

3 تفسير السعدي لتفسير الآية: 12.

﴿لَتَلْبُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹

"يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يجب."

"ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم."

وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

"منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره."

"ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كم أخبر قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما."

"ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهن عليهم حملة، وتخف

1 سورة آل عمران، الآية: 186.

عليهم مؤنته، ويلجئون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: وإن تصبروا وثبتوا أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وثبتوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله. فإن ذلك من عزم الأمور أي: من الأمور التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.¹

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ - وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾²

"يقول تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها هل جزاء الإحسان إلا الإحسان."

1 تفسير السعدي، سورة آل عمران، الآية: 186.

2 سورة فصلت، الآية: 34 - 35.

"ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ادفع بالتي هي أحسن أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبا أو حاضرا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب له الكلام، وابدل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة."

"فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي: كأنه قريب شفيق." "وما يلقاها أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟"

"فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتلأ أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيد شيئا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، مثلذا مستحليا له."

"وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق."¹

1 تفسير السعدي، سورة فصلت، الآية: 34 - 35.

الحكمة والتدرج في الدعوة

قال الله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدْ لَهُمُ الْبَاتِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹

"يقول تعالى أمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة ﴿وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ﴾ أي: بما فيه من الزواج والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى. وقوله: ﴿وَجَدْ لَهُمُ الْبَاتِيَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن يرفق ولين وحسن خطاب، كما قال:

﴿وَلَا تَجْدُلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهِنَّا وَالْهِكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾² فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾³، "وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

1. سورة النحل، الآية: 125.

2. سورة العنكبوت، الآية: 46.

3. سورة طه، الآية: 44.

أي: قدم علم الشقي منهم والسعيد، وكتب ذلك عنده وفرغ منه، فادعهم إلى الله، ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات، فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير، عليك البلاغ، وعلينا الحساب، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾¹، و﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾²،³

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بِالْحِكْمَةِ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

"ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى

1 سورة القصص، الآية: 56.

2 سورة البقرة، الآية: 272.

3 تفسير ابن كثير، سورة النحل، الآية: 125.

الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلًا."

"ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد أنها أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها."

"وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ علم السبب الذي أداه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسيجازه عليها. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم من عليهم فاجتباهم."¹

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:

"المسألة الثانية: يشترط في الأمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر، لأنه إن كان جاهلاً بذلك فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ولا سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل، وصار فيه الحق منكراً، والمنكر معروفاً، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ

1 تفسير السعدي، سورة النحل، الآية: 125.

اتَّبِعْنِي¹ فدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب واللطافة، مع إيضاح الحق بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾² فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق فإنها تضر أكثر مما تنفع، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً إلا لمن جمع بين العلم والحكمة، والصبر على أذى الناس؛ لأن الأمر بالمعروف وظيفته الرسل وأتباعهم، وهو مستلزم للأذى من الناس؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده فيما قص الله عنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾³.

"ولما قال النبي ﷺ لورقة بن نوفل: (أومخرجي هم؟)، يعني: قريشاً، أخبره ورقة أن هذا الدين الذي جاء به لم يأت به أحد إلا عودي."⁴ وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما ترك الحق لعمر صديقاً، وأعلم أنه لا يحكم على الأمر بأنه منكر إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، أو إجماع المسلمين، وأما

1 سورة يوسف، الآية: 108.

2 سورة النحل، الآية: 125.

3 سورة لقمان، الآية: 17.

4 جزء من حديث، رواه البخاري، رقم: 6982 ومسلم، رقم: 160.

إن كان من مسائل الاجتهاد فيما لا نص فيه فلا يختم على أحد المجتهدين المختلفين بأنه مرتكب منكراً، فالمصيب منهم مأجور بإصابته، والمخطئ منهم معذور كما هو معروف في محله.

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقتين: طريق لين، وطريق قسوة، أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وأطفه، فإن نجحت هذه الطريق فيها ونعمت، وهو المطلوب، وإن لم تنجح تعين طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتقام حدوده، وتمثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾¹، ففيه الإشارة إلى أعمال السيف بعد إقامة الحجّة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

المسألة الثالثة: يشترط في جواز الأمر بالمعروف ألا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر؛ لإجماع المسلمين على ارتكاب أخف.²

"﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾"³. أمر الله نبيه موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: أن يقولوا لفرعون في حال

1 سورة الحديد، الآية: 25.

2 أضواء البيان في إيضاح القرآن، سورة المائدة، الآية: 105.

3 سورة طه، الآية: 44.

تبليغ رسالة الله إليه ﴿قَوْلًا لِّنَا﴾، أي: كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينفر. وقد بين المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾¹، وهذا والله غاية لين الكلام ولطافته، ورقته، كما ترى. وما أمر به موسى وهارون في هذه الآية الكريمة أشار له تعالى في غير هذا الموضع، كقوله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

"وقال رحمه الله تعالى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾² واعلم أنه يفهم من دليل خطاب هذه الآية الكريمة، أعني مفهوم مخالفتها: أنه من يجادل بعلم على ضوء هدى كتاب منير، كهذا القرآن العظيم، ليحقق الحق، ويبطل الباطل بتلك المجادلة الحسنة أن ذلك سائع محمود لأن مفهوم قوله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أنه إن كان بعلم، فالأمر بخلاف ذلك، وليس في ذلك اتباع للشيطان، ويدل لهذا المفهوم المذكور قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.³

1 سورة النازعات، الآية: 17 - 19.

2 سورة الحج، الآية: 8.

3 المصدر السابق.

وأيضاً: "فالحكمة تعريف الحق، فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة. ومن نازعه هواه وعظ بالترغيب والترهيب. فالعلم بالحق يدعو صاحبه إلى اتباعه، فإن الحق محبوب في الفطرة، وهو أحب إليها، وأجل فيها، وأدع عندها، من الباطل الذي لا حقيقة له، فإن الفطرة لا تحب ذلك."

"وأيضاً فالقرآن ليس فيه أنه قال: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل"، بل قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾¹ وذلك لأن الإنسان له ثلاثة أحوال:

فالأول: إما أن يعرف الحق ويعمل به، وإما أن يعرفه ولا يعمل به، وإما أن يجحده، فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به.
والثاني: أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به.
والثالث: من لا يعرفه بل يعارضه."

"فصاحب الحال الأول هو الذي يدعى بالحكمة، فإن الحكمة هي العلم بالحق والعمل به. فالنوع الأكل من الناس من يعرف الحق ويعمل به، فيدعون بالحكمة، والثاني من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه، فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة، فهاتان هما الطريقتان، الحكمة والموعظة. وعامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا. فإن النفس لها هوى تدعوها إلى

1. سورة النحل، الآية: 125.

خلاف الحق وإن عرفته فالناس يحتاجون إلى الموعدة الحسنة وإلى الحكمة. فلا بد من الدعوة بهذا وهذا.

وأما الجدل فلا يدعى به، بل هو من باب دفع الصائل، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن، ولهذا قال: "وجادلهم"، ففعله فعلا مأمورا به مع قوله: "أدع". فأمره بالدعوة بالحكمة والموعدة الحسنة، وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن وقال في الجدل "بالتي هي أحسن" ولم يقل "بالحسنة"، كما قال في الموعدة، لأن الجدل فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة لا تدافع كما يدافع المجادل، فما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعدة الحسنة أو لهما جميعا لم يحتج إلى مجادلة، فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن.

"والمجادلة بعلم كما أن الحكمة بعلم، وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى:

﴿ هَآئِنٌ مَّ هُوَآءٌ حَجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۗ﴾¹

1 سورة آل عمران، الآية: 66.

والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علما، فلو قدر أنه قال باطلا لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل، لكن هذا قدر يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه، لا لبيان الدعوة إلى القول الحق، والقرآن مقصوده بيان الحق ودعوة العباد إليه، وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم ليين خطأ أحدهما لا بعينه. فالمقدمات الجدلية التي ليست علما هذا فائدتها، وهذا يصلح لبيان خطأ الناس مجملا.²

فيجب على الداعية أن يستحضر حكمة التدرج عند دعوته الناس وأن يعلم حال المدعو، وما يحتاج إليه، ولا يكثر عليه من مسائل الدين في أثناء عرضه للإسلام، حتى ترسخ في قلبه الأمور المهمة، كأصول الأيمان ومقتضياته، ثم ينتقل إلى الأمور الشرعية كالعبادات والأوامر والنواهي والمعاملات، متبعا في ذلك حكمة التدرج.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:
"جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرك؟! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك. قالت: لم؟ قال: لعل أولف القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف. قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول

2 تفسير ابن تيمية، سورة النحل، الآية: 125.

شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السورة.¹

وهنا تأتي مسألة أصوليه مهمة، وهي تتعلق بموضوع النسخ في الشريعة، فالنسخ هو "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي"² حسب ما تقتضيه الحاجة وما ينبغي على ذلك من مصالح العباد، وقد يكون أيضاً من جهة امتحان المكلف فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، وأيضاً في رفع الحكم لجلب التيسير للناس ومراعاة ما ينفعهم.

ولنضرب هنا بعض الأمثلة العملية التي قد يستفيد منها الداعية في دعوته. كنت بمسجد بدولة أجنبية وحدث حوار بيني وبين شخص غير مسلم حول إلهية المسيح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكرت له الأدلة على عدم إلهيته وتطرقنا إلى شبهات أخرى عن الإسلام، وبعد نقاش طويل، شاء الله تعالى أن يشرح صدره للإسلام، لكنه تردد قليلاً وقال: أريد أن تجيبني عن هذا السؤال المهم قبل دخولي في الإسلام. قلت له تفضل: ما هو سؤالك؟ قال: هل يجب علي أن أختن بعد دخولي في الإسلام؟ قلت

1 صحيح البخاري، حديث: 4993.

2 صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 261.

له حسنا، دعني أبين لك ما هي سنة الاختتان، فتحدثنا عنها ثم قلت له: لكن لا بأس بأن تكون مسلما حتى وإن لم تختن. ففي تلك اللحظة إعلان إسلامه. وبعد شهور قليلة، سألتني هل أعرف طبيبا مسلما؟ قلت له يمكنك أن تزور أي طبيب ولا يشترط أن نتلقى العلاج من طبيب مسلم. قال الأمر ليس كذلك بل أريد أن أختن لأنني أشعر وكأنني لست مسلما من غير ختان. فلو تشدد أحد في مسألة كهذه، حينها قد تكون النتيجة عدم استجابة المدعو إلى رسالة الإسلام وقد يموت على الكفر والله أعلم.

ثمة قصة أخرى حدثت مع شخص آخر، كان يسألني عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وهل يجب عليه ترك ذلك بعد إسلامه مباشرة أم أنه يستطيع أن يكون مسلما ولا ضير؟ كنت في تلك الأثناء أتحدث معه عن موضوع الإيمان والتوحيد، ولم أعط مسألة الأحكام تلك الأهمية، وكنت أقول له بأن هذه أحكام ليست هي الأهم، بل الأهم أن تعتقد في الله عقيدة صحيحة وتخرج من الكفر إلى الإيمان، فبعدها أن استقرت عقيدة التوحيد في قلبه وباشر نور الإيمان صدره، دخل في الإسلام، ثم بعدها بفترة وجيزة، أخبرني أنه قد حسن إسلامه وبحمد الله ترك كل عاداته التي ألفها في الجاهلية والمحرمات التي كان يركبها.

فيجب على فالداعية ألا يغفل عن هذه المسائل المهمة في أثناء دعوته، وأن لا تغيب عنه حكمة التدرج مع المدعو، ويرتب قضايا الدعوة حسب أهميتها. فالتوحيد مع المعاصي خير من الكفر؛ لأن التوحيد يخرج المعاصي من النار، والكفر يخلد صاحبه في النار.

كيف ندقق نجاح الدعوة

صحة المعتقد والمنهج

سبق أن ذكرنا في مبحث صفات الداعية، أنه لا بد من أن يكون الداعية إلى الله تعالى على عقيدة صحيحة ومنهج سليم، ويكون على بينة من دينه، وعلى بصيرة إلى ما يدعو إليه، وأن الله لا يوفق من يدعو إلى البدع والضلال، ولا يغرنك نجاح من تراه يدعو إلى بدعة أو ضلال أو مذهب منحرف أو دين غير دين الله، فذلك ليس بنجاح بل هو استدراج من الله تعالى لهم، وهل هناك عقوبة أعظم من عقوبة استدراج الإنسان من حيث لا يعلم، فكفى بالضلال خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.

قال الله تعالى:

﴿لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ - مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ - لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾¹

وقال الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾²

1 سورة آل عمران، الآية: 196 - 198.

2 سورة الأنفال، الآية: 36.

فالتوفيق إلا بالله يؤتية من يشاء من عباده منة ورحمة منه، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يلهمنا الصواب والأخذ بالأسباب التي يحصل بها التوفيق في الدنيا والنجاة في الآخرة، ومن تلك الأسباب؛ أن يتحرى الداعية النقل الصحيح، وأن يعتقد في الله حق الاعتقاد، ويكون على حذر من العقائد المنحرفة والمذاهب الهدامة، ويتعلم العقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح، ويعض عليها بالنواجذ، لأنه لا نجاة في الآخرة إلا باتباع هدي النبي ﷺ، والتمسك بما جاء به من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل ولا ابتداع، فالداعية يكون متبعا للنصوص مسلما لها على بصيرة، يقتدي في ذلك بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، واقتفاء أثر من جاء بعدهم من أئمة المسلمين الذين اتبعوهم بإحسان، فالخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

وهنا يجب أن ننبه إلى أمر مهم يتعلق ببعض الجماعات التي تهتم بقضية الإصلاح، ويقتصر عملها على نطاق ضيق داخل المجتمعات الإسلامية فقط، ولا علاقة لها فيما يخص بدعوة غير المسلمين، إلا من رحم الله منهم، وعلى الرغم من قلة بضاعتهم في العلم الشرعي ووسائل الدعوة، فهم يتصدرون لعمل الدعوة، وقد ابتكرت تلك الجماعات هيئات وطرق تعبدية ومواقيت معينة، وأدعية مخصوصة لا تستند إلى سند شرعي، ويلزمون بها من ينتمي لها أن يبايع على تلك العقائد والطرق

والمناهج، وقد تستند إلى أصل عام لا يدل على سنيته، بل هي من المنظور الشرعي، تكون قطعاً من البدع ومن الدعوات الباطلة، فلا يجوز اتخاذها قرينة إلى الله جل وعلا، بل ولا يجوز الانتماء إليها أبداً، وقد حذر الشارع من تلك الفرق كلها وبين حالها:

"عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةً أن يُدركني ، فقلتُ: يا رسولَ الله إنَّا كُنَّا في الجاهليةِ شرِّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعد هذا الخيرِ من شرِّ؟ قال: (نعم). قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: نعم، وفيه دَخْنٌ). قلتُ وما دَخْنُهُ؟ قال: (قومٌ يهدونَ بغيرِ هديي، تعرفُ منهم وتُتكر). قلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شرِّ؟ قال: (نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنمَ، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلتُ: يا رسولَ الله، صفهُمُ لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلمونَ بألسنتنا). قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تَلِمْ جماعةَ المسلمينَ وإمامه، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كُلَّها ، ولو أن تعصَّ بأصلِ شجرةٍ ، حتى يُدركك الموتُ وأنت على ذلك)."¹

وقد دلل أهل العلم على بطلان مناهجها وطرقها وأوضحوا انحراف عقائدها فلا يجوز للمسلم أن ينتمي إليها، ولا عبرة لمن خالف كبار أهل

1 صحيح البخاري، حديث: 3606، ومسلم، حديث: 1847.

العلم في مثل هذه المسائل المهمة، ولو كانوا ممن اشتهروا من القصاص والدعاة الذين ملؤوا الدنيا بدروسهم عبر وسائل الإعلام من القنوات الفضائية، والشبكة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي، لجلب منافع آنية، وذلك بكسب ود هؤلاء المنحرفين، بالثناء عليهم وذكر بعض ما يقومون به من أعمال، قد تبدو للبسطاء في ظاهرها انخير، ولكن العبرة بعموم اعتقادها ومنهجها وما عليها من بدع منكورة.

إعداد الدعوة

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾¹

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنذِرِينَ - قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ - يَقَوْمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ - وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾²

ومن لوازم الدعوة إلى الله أن تنفر طائفة من هذه الأمة فتقوم بدعوة الناس إلى دين الله عز وجل وبيان رسالته، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن الواحد القهار، لذلك يتطلب هذا العمل إلى برنامج مختص بإعداد الدعوة إعداداً يتناسب مع متطلبات العصر، ويمهد لهم السبيل، ويذل لهم الصعاب لتحقيق أهداف الدعوة، وهذا من مسؤولية الأمة التي يقتضي القيام بها على أفضل وجه، بتوظيف ما لديها من مقدرات وإمكانات عظيمة التي لو تم استغلالها في هذا

1 سورة التوبة، الآية: 122.

2 سورة الأحقاف، الآية: 29 - 32.

الأمر، لحقت نجاحا ونصرا كبيرا. فبرنامج إعداد الدعاة من القضايا الجوهرية لخدمة هذا الدين، ولربما يكون في بعض البلدان الإسلامية ظاهرة تعليمية كبيرة لإعداد الدعاة والمتعلمين، وهذا لا ريب أنه مكسب عظيم يمكن دمجها في مشروع الدعوة العالمي، ويتم ذلك بتوجيه تلك المؤسسات القائمة على هذه البرامج، وتوعية القائمين عليها والمتخرجين منها للتركز على القيام بواجب الدعوة وإبلاغ رسالة الإسلام للناس. ويمكن أيضا إقامة مؤسسات تعليمية موازية حول العالم، لتخريج دعاة من تلك البلدان، حتى يتسنى لهم دعوة الناس بلسانهم، ولعلمهم يهتدون إلى هذا الدين العظيم مما يجعلهم من السعداء في الدارين.

الدعم المادي واللوجستي

وأخيراً نأتي إلى تنفيذ المشروع الدعوي على أرض الواقع ، وهذا حتماً سيحتاج إلى موارد مادية وبشرية للقيام به، ومن المؤكد أن سنة الله تعالى في القيام بهذا الواجب العظيم، تقتضي أن يجاهد المسلم بماله ونفسه وكل ما يملك حتى ينصر دين الله تعالى، وإنه لمن أفضل القربات أن ينفق المسلم ماله ووقته في خدمة هذا الدين ونشره بين الناس. فبناء المؤسسات الدعوية والتعليمية والإنفاق عليها يتطلب المال الكثير والجهد المتواصل لتحقيق الأهداف الدعوية. فإذا توفرت القوى البشرية والعلمية والمادية فاعلم أن ذلك، بإذن الله تعالى، سوف يحقق أهداف الدعوة ويصل بها لغايتها المرجوة، ولنا في القرآن والسنة وتاريخ الأمة دلائل لا تعد ولا تحصى على نجاح الدعوة ونشر دين الله تعالى. فالقرآن والسنة هما المصدران الأساسيان لتحفيز المؤمن على الإنفاق في سبيل الله تعالى وترسيخ معنى الإنفاق في نفوسهم وإرشادهم وتربيتهم بشتى الوسائل، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ - تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

المتاحة، وذلك يتطلب إلى نفقة المحسنين على هذا الدين القويم، فكن أنت ممن يلبي نداء المولى عز وجل وانفق مما استخلفك الله عليه، لتشارك مع أخيك الداعية أجر الدعوة، فكل درهم تنفقه في مرضاة الله تجد أثره في حياتك وبعد مماتك والله يرزق من يشاء بغير حساب.

الختام

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسول محمد ﷺ بدين الإسلام وجعله آخر الرسالات، فمن يتبع غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، فلذلك فإن الواجب على المسلمين تبليغه للناس كافة كما أمرنا به الله عز وجل في كتابه العزيز:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾¹

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾²

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾³

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾⁴

"وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة"⁵.

1 سورة الأعراف، الآية: 158.

2 سورة سبأ، الآية: 28.

3 سورة الفرقان، الآية: 1.

4 سورة النحل، الآية: 44.

5 صحيح البخاري، رقم: 335.

" كان كلُّ نبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وُبعثت إلى كلِّ أحر وأسود.¹"

أخي المسلم، انظر إلى هذه الآيات البينات والأحاديث الشريفة التي تدلنا على أن رسالة الإسلام جاءت للناس كافة، تبشر الناس بنعيم الله الدائم وما يوصلهم إلى ذلك، وتنذر بعذابه الخالد وما يبعدهم عنه، ولكن أكثرهم لا يعلمون، ولما كان رسول الله ﷺ، خاتم النبيين، فهمة إبلاغ رسالة الله تقع على أمتة من بعده، والعودة عن هذا الواجب معصية عظيمة لا تغفر إلا بالتوبة إلى الله والإصلاح وتبيين رسالة الله تعالى للناس وعدم كتمانها.

"قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فهذا قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بل قد أحصى أعمالهم، وعدّها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها."²

1 صحيح مسلم، حديث رقم: 521.

2 تفسير السعدي، سورة البقرة الآية: 140.

قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾

"ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة، يريد للمستشهادين يوم أحد، أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله: لتكونوا شهداء على الناس."²

وكل هذا بسبب قيامك بالدعوة ، فضلا عن الشعور بالسعادة التي تغمرك في أثناء سيرك في هذا السبيل وقطفك ثمار عمل الدعوة في الدنيا قبل الآخرة. وإن من خصائص الرسل، وهي من أخص صفاتهم، أنهم كانوا من المصطفين الأخيار بسبب دعوتهم الناس إلى سبيل الآخرة والثبات على هذا المنهج القويم فكانوا من عباد الله المخلصين.

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ - إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الدَّارِ - وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ - وَأذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾.

2 تفسير النسفي، سورة آل عمران الآية: 140.

"وقد اختلف أهل التأويل ، في تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار: أي أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ قال : بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها. ذكر من قال ذلك : حدثني علي بن الحسن الأزدي قال : ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ قال : بذكر الآخرة فليس لهم غيرها.

إنا أخلصناهم بذكرى الدار؛ والدار ؛ هنا : الدار الآخرة؛ يعني: جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة؛ ويزهدونهم في الدنيا؛ كما هو ديدن الأنبياء - عليهم السلام.¹

"أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة جليلة الشأن لا شوب فيها، هي تذكرهم دائماً الدار الآخرة، فإن خلوصهم في الطاعة بسبب

1 تفسير النسفي، سورة ص الآية: 46.

تذكرهم إياها، وذلك لأن مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون ويذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه، ولا يتسنى ذلك إلا في الآخرة. وأخرج ابن المنذر، عن الضحاك أن ذكرى الدار تكبيرهم الناس الآخرة، وترغيبهم إياهم فيها، وتزهيدهم إياهم فيها على وجه خالص من الحظوظ النفسانية، كما هو شأن الأنبياء عليهم السلام.¹

نستخلص من جملة هذه التفاسير أن من يجعل همه نصرة دين الله بدعوة الناس إليه وإقامة الحجّة عليهم وتبين ما أنزل الله إليهم من الهدى والبيّنات واقتفاء أثر الرسل في ذلك، يكون من شهداء الله على الناس في الدنيا والآخرة، بل يكون مع المصطفين الأخيار كما أخبرنا بذلك ربنا العزيز الحكيم:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا - ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾²

"أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة من النبيين الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق، ودعوتهم

1 تفسير الألوسي، سورة ص الآية: 46.

2 سورة النساء، الآية: 69 - 70.

إلى الله تعالى والصدّيقين وهم: الذين كل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم ، وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله، والشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا، والصالحين الذين صلح ظاهراً وباطناً فصلحت أعمالهم ، فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم وحسن أولئك رفيقاً بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين.¹

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلنا من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من الذين يرفعون راية الإسلام والإصلاح ونصرة دينه في زمن كثرت فيه الفتن، وانتشرت فيه البدع، وانصرف الناس عن السنة وانشغلوا بحطام الدنيا، إلا من رحم الله، ونسأل الله أن يرزقنا التوفيق والهداية والإخلاص في العمل إنه خير مسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

1 تفسير السعدي، سورة النساء، الآية: 69.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾